التغير المناخي والتحولات السوسيو-مجالية:
حالة جماعة اصعادلا إقليم آسفي

دة. رحيمة أقضاض
دكتورة باحثة في الجغرافيا
جامعة القاضي عياض
المملكة المغربية

الملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية التغير المناخي والتقلبات المناخية السنوية والفصلية في العقود الأخيرة، ومدى إسهامها في حدوث تحولات همت الجانب الاجتماعي والاقتصادي بجماعة اصعادلا بإقليم آسفي.

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح كيف ساهم التغير المناخي من خلال اختلال النظام المطري والحراري في حدوث تغيرات جذرية على أنماط الاستغلال الفلاحي بجماعة اصعادلا، خصوصا وأن هذه الجماعة الترابية تدخل ضمن نطاق المجالات الريفية التي تعتمد بالأساس في أنشطتها الاقتصادية على الاستغلال الفلاحي بالدرجة الأولى بما فيها الأنشطة الزراعية وتربية الماشية.

تخلص هذه الدراسة إلى إبراز أهم هذه التحولات المجالية ورصد طبيعتها وكيف تأثرت بالتقلبات المناخية وكذلك دورها في الوضعية الراهنة للجماعة التي تعتبر ظهيرا للمجال الحضري لآسفي، وكيف تكيف الفلاحي المحلي مع هذه الوضعية.

الكلمات المفتاحية: التغير المناخي، جماعة اصعادلا، التحولات المجالية، التكيف، إقليم آسفي، الاستغلال الفلاحي.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract:

This article addresses the problem of climate change and annual and seasonal climate fluctuations in recent decades, and the extent to which they have contributed to transformations affecting the social and economic aspects of the Asadla community in the Safi region.

This study aims to clarify how climate change, through the disruption of the rainfall and temperature system, has contributed to radical changes in agricultural exploitation patterns in the Asadla community, especially since this territorial community falls within the scope of rural areas that depend primarily on agricultural exploitation in their economic activities, including agricultural activities and livestock breeding.

This study aims to highlight the most important of these spatial transformations, to observe their nature and how they were affected by climatic fluctuations, as well as their role in the current situation of the community, which is considered a hinterland for the urban area of Safi, and how the local farmer has adapted to this situation.

.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تقديم:

تعتبر التحولات المجالية ظاهرة جغرافية تبرز مدى علاقة استغلال الانسان لمجاله، اذ تعكس هذه الدراسة مستويات دينامية الاستغلال البشري للمجال، وترتبط بعوامل متعددة ومختلفة من أبرزها عامل التغير المناخي، الذي يؤثر بشكل سلبي على المجالات الهشة وخصوصا الشبه الجافة التي تعتبر أكثر حساسية لتقلبات المناخ.

يتميز كل مجال جغرافي بتنوع على مستوى بنياته ومكوناته الاجتماعية والاقتصادية، تتفاعل فيما بينها مما يجعلها في تحول مستمر نتيجة هذه الدينامية وكذلك بفعل تأثير العوامل الخارجية والداخلية تساهم في تطورها باستمرار، حيث كل تغير في أي بنية أو عنصر يرافقه تحول وتغير في البنيات الأخرى. هذا الإطار الشمولي يدفعنا إلى تفكيك هذه البنيات ودراستها بشكل مستقل في مرحلة أولى ثم بعد ذلك تحديد التفاعلات فيما بينها ودراستها في إطار التأثيرات المتبادلة بينها. ذلك لأن مفهوم التحول يبقى معقدا ومترابطا بشكل نسبي، وهو يعني في مدلوله البسيط التغيير من حالة الى حالة أخرى سواء كانت تطورا إيجابيا، أو سلبيا، أو تغيرا عميقا، أو سطحيا، أو تبديلا لحالة، أو تجديدا.

نقصد بالتحولات المجالية في هذه الدراسة كل ما يضاف أو ينقص ويقع عليه تعديل في نظم استغلال المجال، فكل تغيير وتحسين وتطوير للنظام قصد مقاومة الأخطار الطبيعية، أو تجاوز الظروف الاقتصادية ينتج عنه تحول الذي قد يتخذ اتجاه ايجابي أو سلبي حيث ينعكس بطبيعية الحال على المجال الحاضن له، وبمستويات مختلفة[1].

يبقى التغير المناخي أحد أهم العوامل التي تحفز التفاعلات بين البنيات المكونة للمجال، ويعتبر معطى أساسي يسهم بشكل كبير في جعل هذه التحولات أكثر وضوحا، حيث يعرف التغير المناخي على أنه ذلك التغير الكبير والمؤثر والملموس، الذي يشمل العناصر المناخية من درجات الحرارة ومعدل تساقط الأمطار والرياح في منطقة من مناطق الكرة الأرضية. لقد حدثت التغيرات المناخية على مستوى الكرة الارضية منذ أزمنة قديمة، بسبب الأحداث الطبيعية من براكين واحتراق الغابات. أما في العقود الأخيرة فقد سرع الانسان من وثيرة هذا التغير. حيث يلاحظ أن اتفاقية الأمم المتحدة الاطارية بشأن تغير المناخ قد عرفته في مادتها الأولى كالآتي " تغير المناخ يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى النشاط البشري يفضي الى تغير في تكوين الغلاف الجوي العالمي والذي يلاحظ، على مدى فترات زمنية متماثلة " [2].

[1] حسن فاتح: التكثيف الفلاحي والتحولات السوسيومجالية والبيئية بولجة دكالة، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط ، 1999- 2000

[2] عبدالله العوينة : التغيرات البيئية الشاملة وأثارها على التنمية المستدامة، كرسي اليونيسكو للبيئة والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ،

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1- الوضعية الجغرافية للجماعة الترابية اصعادلا:

1-1- موقع الجماعة

الخريطة رقم 1: موقع جماعة اصعادلا

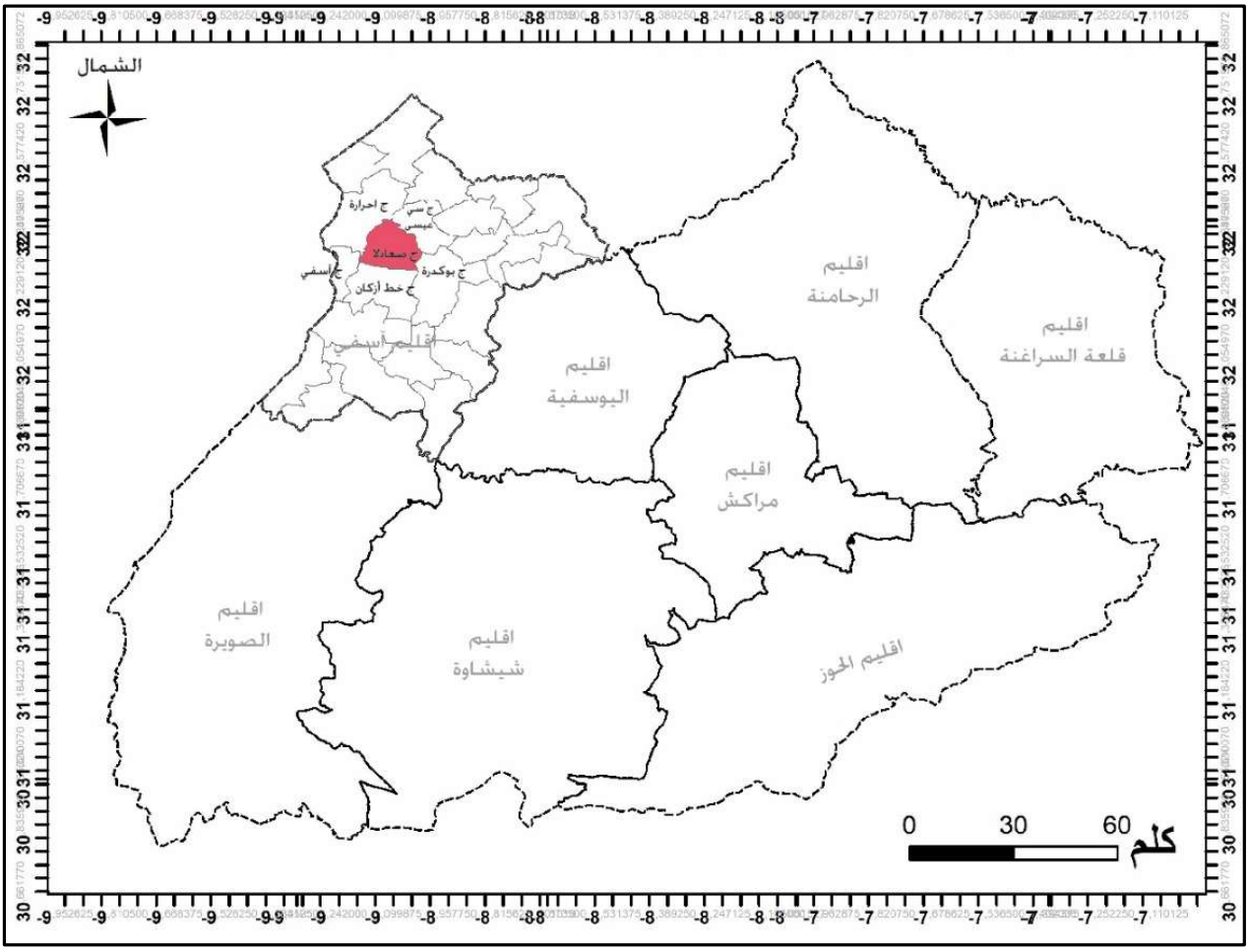

المصدر: التقسيم الجهوي للمغرب 2015

تنتمي الجماعة الترابية اصعادلا تأسست سنة 1992 إلى إقليم آسفي وهو أحد الأقاليم الثمانية المكونة لجهة مراكش-آسفي، تمتد على مساحة إجمالية تبلغ 152.73 كلم^2، ويبعد مركزها عن مدينة آسفي بحوالي 7 كلم عبر الطريق الجهوية 202، تحدها من الشمال الجماعتين الترابيين لاحرارة ودار سي عيسى ومن الجنوب الجماعة الترابية خط أزكان ومن الشرق الجماعة الترابية بوكدرة ومن الغرب الجماعة الحضرية لآسفي.

1-2- المعطيات الطبيعية

تنتمي الجماعة الترابية اصعادلا من الناحية الطبيعية للجزء الجنوبي للمسيطا الساحلية ضمن هضاب عبدة، فمن الناحية الطبوغرافية يتشكل هذا المجال أساسا من تداخل لمجموعة من السطوح الهضبية والمنخفضات.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

فبالنسبة للسطوح الهضبية فهي كالتالي:

- السطح الهضبي الثمرة:

يمتد على الحدود الشرقية ، أما الجزء الأكبر منه فيستمر امتداده خارج المجال، يغلب عليه طابع التموج حيث المجال مكون أساسا من نتوءات ومنخفضات مغلقة عادة ضايات مؤقتة وهو ما يميز هذا السطح الهضبي، كذلك مع هذا التموج لا يمكن الحديث عن سيادة اتجاه واضح للهضبة، يصل أعلى ارتفاع بالسطح الهضبي ككل إلى 152م، أما أدنى ارتفاع فيصل إلى 105م.

تحيط بهضبة التمرة مجموعة من المجالات غير المتجانسة طبوغرافيا وهي الجزء الشمالي الشرقي لتلال تاكبروت، والنهاية الشمالية الشرقية لهضبة الصويرات ناحية الجنوب والجنوب الغربي، والمنخفضات والمتون الفاصلة بينها وبين متن الدربالة ناحية الجنوب. لا يتعدى مدى الحافة 20 مترا؛ قطاعها منتظم؛ أما الانحدار فتتراوح نسبته بين 1 و20% [1].

- السطح الهضبي للصويرات:

يمتد السطح الهضبي للصويرات وسط مجال الدراسة بجماعة اصعادلة على مساحة تقدر بحوالي 36 كلم^2 حيث يشغل بذلك 5,7% من المساحة الكلية للمجال، وهو عبارة عن مثلث ضيق يشرف نحو الجنوب على ممر آسفي – دوار أولاد موسى عبر حافة اكليلية ذات اتجاه غربي شرقي؛ تتغير خصائصها ما بين الجنوب الغربي – حيث نجدها واضحة التخطيط اذ يصل مداها إلى 40 م؛ وتقطعها مجموعة من المسيلات المتجهة إما نحو بحيرة سد سيدي عبد الرحمان أو نحو واد الشعبة – الشرق – حيث تبدو غير واضحة اذ يقل مداها عن 20 م، وتتداخل معها مجموعة من التلال المنعزلة التي لا يتعدى ارتفاعها النسبي 15م. تتراوح الارتفاعات بالسطح الهضبي للصويرات بين 118م و72، حيث يصل الارتفاع المطلق إلى 118م عند دوار سيدي الضاوي (ط 148,9. ع 200,8) وأدنى ارتفاع إلى 72م عند عزيب الشرفة (ط 142,2. ع 196,3)، أما الارتفاع النسبي فيصل إلى 46م واتجاه السطح الهضبي ش ش شـــ-ج ج غ^2.

السطح الهضبي للدربالة:

يمتد السطح للدربالة بشكل طولي جنوب مجال الدراسة [2]، ينفصل شمالا عن هضبة التمرة بممر طولي ضيق، يتراوح عرضه بين 2 و500 متر، وتشرف ناحية الشمال الغربي والغرب على هضبة آسفي، أما ناحية الجنوب فتشرف على منخفض بلاد خط أزكان. اتجاه السطح شمالي شرقي-جنوبي غربي تصل فيه اعلى الارتفاعات إلى 14م وهو عبارة عن سطح هضبي متقطع يشرف على الوحدات المجاورة، تتخذ الحافة جنوبيا رسما نصف دائريا تقطعه محليا مجموعة من المسيلات يتراوح المدى بين 35 و50م؛ والقطاع مركب، أما طول الحافة فلا يتعدى 500 متر ونسبة الانحدار بين 7 و10 %.

[1] عبد الغني الجميلي، (1989): دراسة جيومرفولوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.

[2] رحيمة أقضاض (2022): دور التحليل الجغرافي في توازنات الأراضي وإنجاح برامج التهيئة المجالية – حالة جماعات اصعادلا وخط أزكان واحد حرارة-، أطروحة نيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أما بالنسبة للمنخفضات فنجد منخفض ممر ولاد موسى، وهو منخفض طولي يمتد من الغرب نحو الشرق محصور بين الحافة الجنوبية لهضبة التمرة وهضبة الصويرات في الشمال، والحافة الشمالية لكل من هضبة الدربالة وهضبة آسفي جنوبا، وينفتح شرقا على منخفض جمعة سحيم وينتهي غربا إلى واد الشعبة[1].

أما من حيث الوضعية الجيولوجية فإن المجال يضم سحنات تعود للزمن الثاني والثالث وتوضعات الزمن الرابع. فبخصوص الزمن الثاني نجد كلس وجبس الجوراسي الأعلى والتي تكونت خلال المرحلة الأولى لغمر الجوراسي الأعلى الذي تركز في البداية عند الهوامش الجنوبية لمنطقة عبدة[2]. وطين الكريتاسي الغني بالجبس والذي يعود لحقبة الهوترفي الأسفل وكلس الدريدرات الذي يعود لحقبة الهوترفي الأعلى والمكون من كلس حثي أصفر مبيض أو رمادي تتخلله مستويات دولوميتية. أما بخصوص الزمن الثالث، فقد خلف الغمر البحري للبليوسين مركبا متداخلا من الرمال الكلسية والحث وهي سحنات ضعيفة المقاومة.

لقد ساهمت توضعات الزمن الرابع والتكونات الجيولوجية الموروثة عن الفترات السابقة في تنوع الأتربة بجماعة اصعادلا، حيث توصلنا من خلال العمل الميداني إلى أن سمك هذه الأتربة يختلف حسب الوضعية الطبوغرافية، حيث تكون سميكة بالمنخفضات لاستفادتها من استقبال المواد من العاليات المجاورة، بخلاف السطوح الهضبية التي تنتشر بها تربات هيكلية وضعيفة السمك، ناتجة عن واردات سفحية أو عمليات تترب عميقة.

من بين أنواع التربات المنتشرة بجماعة اصعادلا نجد:

- الأتربة الكلس مغنيزية: والتي تسمى محليا بتربة لحرش أو لحروش، تطورت فوق القشرة الكلسية عبارة عن خليط من الرمل والطين أو الرمل والطمي مع نسبة مهمة من الحصى، سمكها ضعيف، وتتميز بوفرة مادتها الكلسية، فهي تربة ضعيفة التطور، وبنية اللون بسبب فقدان الكاربونات وزيادة عمليات الغسل، ذات بنية شتيتة لافتقارها إلى اللحام والصلابة. تحتوي هذه التربة على نسبة 30% من الطين، و 20% من الدقة، و50% من الرمل والحصى؛ مما يعطيها تهوية، ومسامية كبرى لا تساعد على خزن الماء، وتفوق بها نسبة الكلس50%، وقد تصل أحيانا إلى 90%. كما تمتاز بقدرتها الضعيفة على تخزين الماء لذلك تجف بشكل سريع مقارنة بالأتربة القلوبة. تمثل هذه الأتربة نسبة مهمة داخل المجال تصل إلى 43,78% من المساحة الكلية مع وجود تفاوت بين جماعة احرارة (29%) وجماعة اصعادلة (32 %) وجماعة خط أزكان(39 %)، وهي تنتشر فوق السطوح الهضبية.
- الأتربة ضعيفة التطور: تسمى محليا بتربة الرمل، تشكلت نتيجة تحول الدقات البليورباعية وتتوفر بسمك مهم يتعدى 50 سنتمترا، وهي تربة سيليسية قسمها المعدني ضعيف التفسخ، تفتقر بشكل كبير للمادة العضوية، نسيجها رملي ضعيف التماسك وتتميز بنفاذيتها الكبيرة. يغطي هذا النوع من التربة 22,17% من المساحة الكلية لمجال الدراسة، وتنتشر تربة الرمل بشكل كبير، بالمجالات ذات الانحدار الضعيف.
- الأتربة القلوبة: تسمى محليا بتربة الترس، وهي من الأتربة الخصبة بالمجال، تتميز بلونها الأسود في الفصل الرطب والرمادي في الفصل الجاف، وبنفاذيتها الضعيفة ومساميتها القوية بفعل نسيجها الذي يغلب فيه الطين النفوخ، ولها قدرة على منع تصريف الماء نحو الأسفل. فهي تربة حديثة التكوين (خلال الغربي) تنتشر بالمجالات المنخفضة، وتحتوي على نسبة مهمة

[1] محمد محيي الدين. (2007): التشكيل الجيومرفولوجي والدينامية البيئية لهضاب وسهول دكالة عبدة من الرباعي الحديث إلى الواقع الحالي. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس.

[2] عبد الغني الجميلي، (1989): دراسة جيومرفولوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

من الطين تزيد عن 30%، وقد تصل إلى 65 %، أما معدل المواد الخشنة فلا يتعدى 5%. وأطيان هذه التربة من النوع النفوخ، مما يجعلها تمتاز بنفاذية ضعيفة، ويختلف لونها بين الأسود والبني الداكن القاتم. ويكون نسيجها طينيا أحيانا، ويكون طينا دقيا متجانسا على طول القطاع الترابي أحيانا أخرى[1]. تغطي 05,82 % من المساحة الكلية لمجال الدراسة، نظرا لتركزها في المنخفضات.

أما من حيث الوضعية المناخية فتدخل الجماعة الترابية اصعادلا ضمن النطاق المناخي الشبه الجاف حسب تصنيف أمبيرجي، يكون فيه الشتاء معتدلا وكمية التساقطات المطرية تتراوح في المتوسط بين 350 ملم و 400 ملم في السنة، غير أنها تظل غير منتظمة سنويا، حيث يتم التمييز بين سنوات مطيرة تسجل معدلات قصوى وأخرى جافة تسجيل كميات دنيا مع إمكانية توالي سنوات مطيرة أو جافة كما هو الشأن بالنسبة للفترات من 1991 إلى 1993 ومن 1998 إلى 1999 التي اعتبرت فترات جافة تخللتها فترة مطيرة من 1994 إلى 1997 وكذلك هذه السنة 2025 سجل المجال تهاطل كميات مهمة من الأمطار تجاوزت 500 ملم.

فمن خلال دراسة المعطيات الخاصة بالتساقطات المطرية للمحطات القريبة من المجال تبين أنه في السنوات الرطبة تتهاطل الأمطار بين شهر شتنبر وماي وتتركز خلال دجنبر ويناير، عكس السنوات الجافة التي تتهاطل فيها الأمطار بشكل ضعيف بين شهر دجنبر وشهر فبراير.

أما بالنسبة للحرارة فتسجل درجة الحرارة القصوى أعلى معدلاتها خلال شهر غشت حيث تتجاوز 38° في حين تصل ادنى معدل لها خلال شهر يناير والذي يصل حوالي 17°، كما تسجل معدلات الحرارة الدنيا أدنى قيمة لها خلال شهر يناير والتي تبلغ حوالي 7 ° وأعلى قيمة لها خلال شهر غشت حيث تصل حوالي20°، علما أن الحرارة لا تنزل على مستوى 0°.

3-1- المعطيات البشرية

يعتبر تدخل الانسان في المجال عنصرا أساسيا في مختلف التحولات والتغيرات التي تهم تطور المشهد الجغرافي للمجال، حيث يسعى من خلال كل الإمكانات المتاحة لاستغلال موارد الوسط الطبيعي لتلبية حاجاته ومتطلباته. يبدو ذلك واضحا من خلال الاختلافات بين أجزاء المجال التي تنتج عن اختلاف طرق الاستغلال من طرف تجمعات بشرية مختلفة، فقد يكون هناك تشابه في خصوصيات المجالات لكن أساليب ونظم الاستغلال التي يوظفها المجتمع تعطي واقعا مختلفا تبعا لنظم وأساليب الاستغلال. مما يوضح دور الانسان باعتباره متدخلا محوريا في المجال[2].

عرف جماعة اصعادلا خلال الأربعين سنة الأخيرة تزايدا سكانيا ملموسا، وقد ساعده في ذلك الإمكانيات الاقتصادية المهمة التي تتيحها المنطقة.

[1] محمد محيي الدين. (2007): التشكيل الجيومرفولوجيي والدينامية البيئية لهضاب وسهول دكالة عبدة من الرباعي الحديث إلى الواقع الحالي. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس.

[2] رحيمة أقضاض (2022): دور التحليل الجغرافي في توازنات الأراضي وإنجاح برامج التهيئة المجالية – حالة جماعات اصعادلا وخط أزكان واحد حرارة-، أطروحة نيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المبيان رقم 1: تطور عدد السكان بجماعة اصعادلا

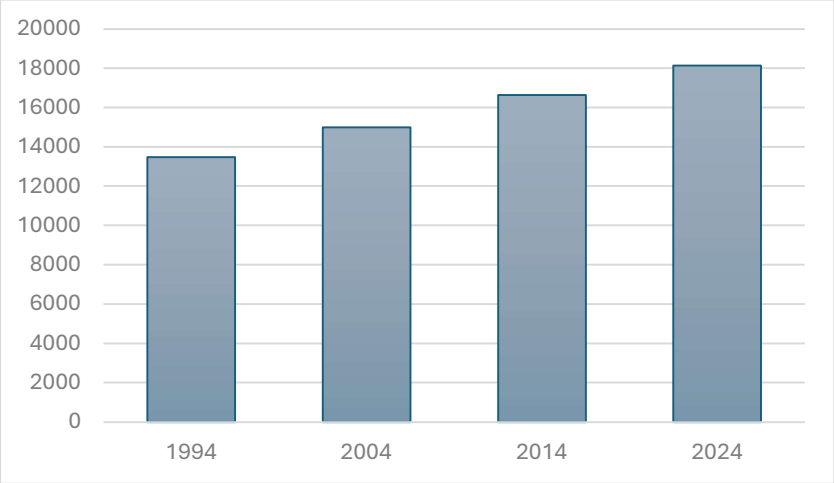

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب 2024

انتقل عدد السكان بجماعة اصعادلا من 13475 نسمة سنة 1994 إلى 18134 نسمة سنة 2024 أي بنسبة بلغت 25,70% وهي نسبة مهمة مقارنة بمجالات ريفية تعيش نفس الوضعية الطبيعية والاقتصادية. أما بخصوص الكثافة السكانية فقد انتقلت من 89,23 ن\كلم^2 سنة 1994 إلى 118,73 ن\كلم^2.

المبيان رقم2: توزيع الفئات العمرية بجماعة اصعادلا

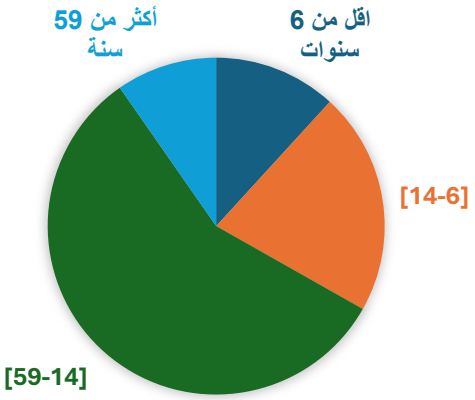

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب 2024

تشكل الفئة النشيطة التي يتراوح عمرها بين 15 و59 سنة أكثر من نصف سكان الجماعة الترابية اصعادلا بنسبة بلغت حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 حوالي 57,1%، في حين بلغت نسبة الفئة العمرية أقل من 15 سنة حوالي 21,4%، أما الفئة العمرية الأكثر من 59 سنة فبلغت نسبتها 9,7%.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المبيان رقم3: المستوى التعليمي لساكنة جماعة اصعادلا

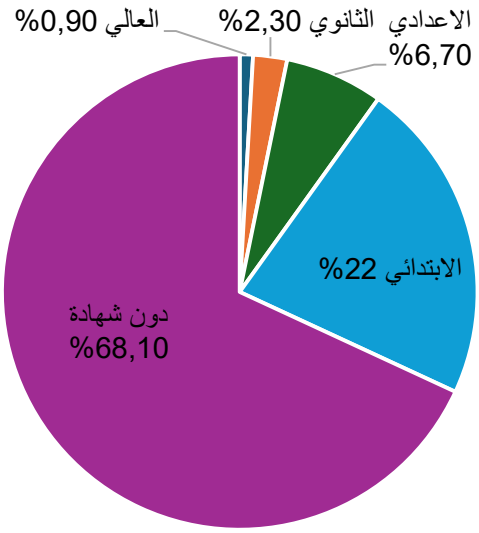

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب 2024

ترتبط الوضعية التعليمية للساكنة بمدى توفر العرض التربوي وتنوعه، من حيث بنيات الاستقبال والأطر التربوية الكافية. نلاحظ بجماعة اصعادلا أن أكثر من نصف السكان لايتوفرون على المستوى الأدنى من الشواهد التعليمية.

المبيان رقم4: المهن والأنشطة الاقتصادية لساكنة جماعة اصعادلا

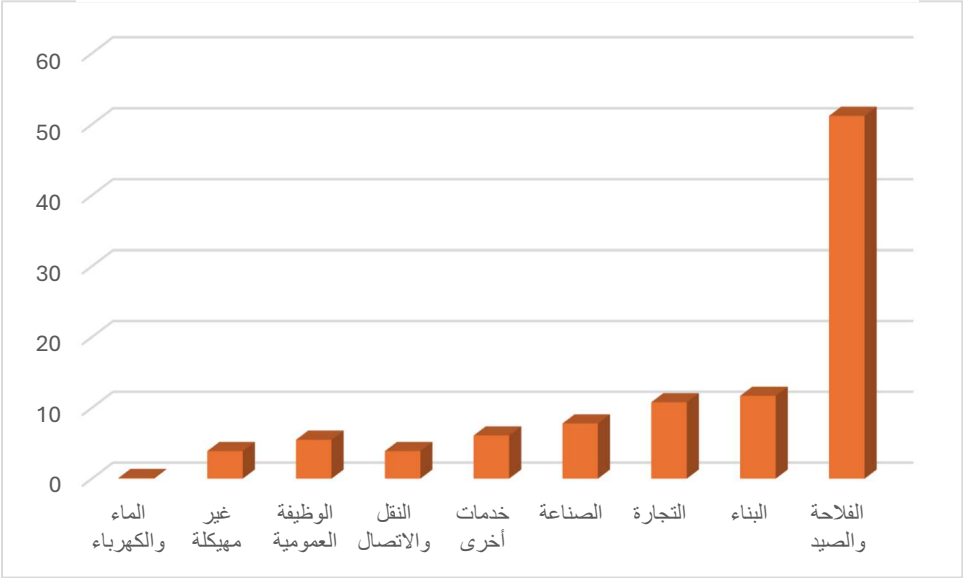

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب 2024

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

توضح معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 أن قطاع الفلاحة والصيد البحري يستقطب أكثر من نصف السكان النشيطين الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و59 سنة بنسبة بلغت 51,2% يليه قطاع البناء بنسبة 11,7% وقطاع التجارة بنسبة 10,8% في حين بلغت نسبة السكان النشيطين بقطاع الصناعة 7,8%، أما القطاع الغير المهيكل فبلغت نسبة السكان النشيطين به 3,9%.

2- الإطار المنهجي:

2-1- إشكالية الدراسة:

ساهمت الوضعية الطبيعية بالجماعة الترابية اصعادلا وعلى الخصوص الوضعية الطبوغرافية المتميزة بالتموج وتجاور السطوح الهضبية والمنخفضات الناتجة عن ظاهرة الكرستة والوضعية الجيولوجية وكذلك الوضعية المناخية المتقلبة والتي يسود فيها الجفاف لفترات طويلة، وضعف التساقطات المطرية التي لا تتجاوز في أحسن الحالات 300 ملم سنويا، في وصول المجال لوضعية حرجة أدت لهشاشة واضحة على المستوى الاقتصادي والمستوى الاجتماعي زاد من تفاقمها تطور الاستغلال الفلاحي والاعتماد أكثر على الموارد المائية الباطنية وتراجع تزويد الفرشة الباطنية بفعل الظروف المناخية التي عاشها المجال في السنوات الأخيرة.

لقد أدى الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية بجماعة اصعادلا وخصوصا الموارد المائية في ظل التغير المناخي إلى حدوث عدة تحولات همت بالدرجة الأولى الوضعية الاقتصادية التي أثرت على الوضعية الاجتماعية بالمجال، وهو ما دفعتنا لطرح السؤال الاشكالي التالي: كيف ساهم تفاعل الوضعية المناخية والاستغلال البشري في حدوث تحولات سوسيو مجالية بالجماعة الترابية اصعادلا وكيف انعكست هذه التحولات على نظم استغلال المجال بهذه الجماعة؟

2-2- فرضيات الدراسة:

إن البحث في إشكالية التحولات السوسيومجالية بالجماعة الترابية اصعادلا دفعنا لطرح الفرضيات التالية:

- ساهم التغير المناخي في دفع السكان إلى التكيف مع الوضعية الحالية وهو ما سرع من وثيرة التحولات السوسيومجالية بالجماعة الترابية اصعادلا.
- كان للوضعية الطبيعية بصفة عامة ولتفاعل عناصرها الدور الكبير في حدوث التحولات السوسيومجالية بالجماعة الترابية اصعادلا.
- أدت أساليب وطرق ونظم الاستغلال بجماعة اصعادلا لتحولات شاملة على المستوى السوسيومجالي.

2-3- أهداف الدراسة:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أهمها:

- تعرف طبيعة التحولات التي همت المجتمع المحلي بالجماعة الترابية اصعادلا.
- فهم العلاقة بين الخصوصيات الطبوغرافية والجيولوجية والتحولات السوسيومجالية.
- رصد أهم التحولات التي همت استغلال المجال.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- ضبط تأثير التقلبات المناخية على وضعية الموارد المائية.
- ربط علاقة الوضعية المناخية بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية بالمجال.

2-4- أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في معالجتها لأحد الإشكالية التي تهم المجتمعات الريفية خصوصا بالمجالات الشبه الجافة، حيث أن هذه المجتمعات تمارس مختلف أنشطها الاقتصادية ارتباطا بالوضعية المناخية السائدة، فالدورة الزراعية ترتبط بمدى توازن التوزيع الكمي والزمني للتساقطات المطرية. غير أن اختلال توازن هذا التوزيع ساهم في حدوث مجموعة من التغيرات المجالية التي تدفعنا كجغرافيين للبحث فيها من أجل رصد مدى تأثيرها وكيفية التكيف معها ومدى نجاعة ذلك.

2-5- منهجية الدراسة:

إن دراسة هذه الإشكالية فرضت علينا اتباع مناهج معينة قادرة على تسهيل الوصول للنتائج المرجوة، ولعل أبرزها المنهج التاريخي في محاولة لرصد التطورات الزمنية لمختلف التغيرات التي همت المشهد الجغرافي بالمجال، خصوصا وأن ذلك يمكنه أن يوضح لنا تسارع التغيرات ومناطق حدوثها وكذا طبيعتها. بالإضافة للمنهج الوصفي الذي يمكننا من قراءة هذه التحولات وكيفية قدرتها على التجاوب مع كل المتغيرات المجالية.

كما اعتمدنا في مرحلة أولى على اعتماد مجموعة من الدراسات السابقة كأرضية ببليوغرافية مكنتنا من فهم الوضعية الأولية للمجال، وكذا اعتمدنا على خرجات ميدانية ومقابلات مباشرة مع الساكنة للتعرف أكثر على نظرتهم لوضعية المجال ومدى فهمهم لعلاقة طرق استغلالهم للموارد المحلية ودورها في التحولات السوسيومجالية. كما اعتمدنا تقنيات الاستشعار عن بعد عن طريق دراسة ضور جوية للسنوات الأخيرة لفهم طبيعة التخول في استغلال المجال.

3- تزايد الضغط على الموارد المائية ودوره في التحولات السوسيومجالية:

يعد النشاط الفلاحي بالجماعة الترابية اصعادلا من أهم الأنشطة الاقتصادية بالجماعة، ذلك بالنظر إلى حجم الساكنة التي تعتمد على هذا النشاط كمورد أساسي لعيشها، إما عن طريق الزراعة المعاشية المرتبطة بزراعة الحبوب، أو عن طريق تربية الماشية.

3-1- الاستغلال الزراعي للأراضي بالجماعة الترابية اصعادلا:

تغطي المساحة المزروعة بالجماعة الترابية اصعادلا 11908 هكتار بنسبة 78% من مجموع الأراضي الصالحة للاستغلال الزراعي، في حين باقي الأراضي هي عبارة عن أراضي طبيعية غير مستعملة تغطي 15.44% من تراب الجماعة ومروج تبلغ نسبة تغطيتها 6.5% وغابات لا تتجاوز نسبة تغطيتها 0.06% من أراضي جماعة اصعادلا.

تنقسم الاستغلاليات الزراعية بجماعة اصعادلا بين استغلاليات بورية تشكل 98% من مجموع الأراضي الزراعية بالجماعة، في حين لا تتجاوز الاستغلاليات السقوية 2%. كما نشير إلا أن أغلب هذه الاستغلاليات السقوية هي عبارة عن قطع صغيرة يهيئها الفلاح المحلي قرب مقر سكنه ويزودها ببئر يستعمله في السقي. يتم الاعتماد في النشاط الزراعي على نظام المناوبة الذي يتميز بالتنوع وتهيمن عليه زراعة الحبوب (القمح الطري، الشعير، الذرة)، حيث تشغل هذه الزراعات حوالي 88% من مجموع

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المساحات المزروعة، ويتراوح مدود الهكتار بالنسبة للقمح الطري بين 20 و22 قنطار في الفترات الرطبة وبين 15 و17 قنطار في الهكتار الواحد بالنسبة للشعير أما الذرة فيتراوح مردود الهكتار الواحد في السنوات الرطبة بين 16 و18 قنطار. كما نشير إلى أن إنتاج الحبوب لا يعرف استقرارا في مردوده بفعل التقلبات المناخية بالإضافة لتراجع زراعة بعض الأنواع كالشعير الذي لم يعد المحصول الرئيسي بالجماعة كما كان في فترات سابقة، كما نشير إلى أن 60% من منتوج الحبوب يوجه للأسواق المحلية القريبة. وعرفت الزراعات الشجرية في السنوات الأخيرة ارتفاعا ملحوظا وأصبحت تشغل حوالي 5% من مجموعة المساحة المزروعة وهي متنوعة بين أشجار الزيتون والتين التي عرفت تطورا مهما في العقد الأخير نظرا لأهمية إنتاجها ومردودها الاقتصادي بحكم أنها تتأقلم مع الظروف المناخية بالمجال ومع التربة. كما عرفت زراعة الزيتون دفعة قوية من خلال الدعم الذي وفرته وزارة الفلاحة بأشكال متنوعة لعل آخرها ما تم إطلاقه في سنة 2020 والذي تقوم فيه المندوبية الإقليمية للفلاحة بآسفي بالعمل على غرس الأشجار والاهتمام بها لسنتين وتسليمها بعد ذلك للفلاح.

أما الزراعات المسقية التي تتنوع بين الخضر بمختلف أنواعها، فرغم أن مساحة استغلالها لا تتجاوز 2% من مجموع المساحة الزراعية بجماعة اصعادلا فإنها تعرف وفرة في الإنتاج نظرا لاعتمادها على مياه الفرشة الباطنية من خلال حوالي 65 بئر ذات مياه جيدة، حيث تغطي حوالي 20% من حاجيات السوق المحلي لآسفي وجزولة جمعة اسحيم، بحكم أن جماعة اصعادلا تعتبر أقرب مركز جماعة قروية لمدينة آسفي، كما عرفت جماعة اصعادلا بدورها تطور زراعة الكبار التي أصبحت تنافس زراعة الزيتون في العقد الأخير من حيث أهمية الإنتاج.

2-3- تربية الماشية بالجماعة الترابية اصعادلا:

فيما يخص قطاع تربية الماشية فتتوفر الجماعة الترابية اصعادلا على قطيع مهم من رؤوس الماشية تمثل فيه الأغنام 80% والأبقار 19% والماعز 1%، ويخصص قسط كبير من الإنتاج الزراعي كعلف للماشية. تبقى ارقام الابقار متغيرة مع توالي سنوات الجفاف حيث تختلف الأعداد من سنة لأخرى نفس الأمر بالنسبة للأغنام والماعز حيث القليل من الفلاحين من تكون لهم القدرة على الحفاظ على كامل القطيع، خاصة منهم من اعتاد على توفير الأضاحي لزبنائه الدائمين. فجماعة اصعادلا توفر كميات كبيرة من الحليب التي يوجه أغلبها للاستهلاك بالمجال الحضري لآسفي.

3-3- القطاع الفلاحي والتغير المناخي وأثره على الموارد المائية:

تتوفر الجماعة الترابية اصعادلا على موارد مائية مهمة تتمثل في الضايات التي تتجمع خلال فترات التساقطات والتي تستمر لفترة من مهمة من السنة ولكن لا يتم استغلالها بشكل مناسب، بالإضافة لكون هذه الجماعة تستقبل على ترابها المياه القادمة من واد أم الربيع وبالضبط من سد إمفوت إلى سد سيدي عبد الرحمن بن مسعود شرق جماعة اصعادلا والذي تبلغ طاقته الاستيعابية حوالي 2 مليون $م^3$ مخصصة كليا لتزويد مدينة آسفي بالماء الصالح للشرب وممنوع على سكان الجماعة استعمال مياه هذه القناة أو السد في النشاط الزراعي، حيث يعد ذلك أمرا مخالفا للقانون.

لقد وضح تحليل معطيات التساقطات المطرية المسجلة بالمحطات الموجودة بمجال الدراسة أو بقربه، أن كمية التساقطات المطرية عرفت تغيرا كبيرا توضح لنا من خلال تردد السنوات الرطبة والجافة، حيث لاحظنا أن وثيرة تردد السنوات الجافة عرفت ارتفاعا واضحا خلال الفترة المدروسة مقابل تراجع وثيرة تردد السنوات الرطبة، بالإضافة إلى أن السنوات الرطبة بدورها عرفت

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

توزيعا متباينا في هذه الكميات المتهاطلة التي أصبحت تميل نحو التركز الزماني وهو ما يتضح من خلال تراجع الأيام المطيرة خلال السنة مقابل امتداد فترة ارتفاع درجات الحرارة القصوى مما يسمح بارتفاع وثير التبخر والنتح، وهو ما يفيد أن هذه التساقطات لا تكون نافعة موازاة مع كميتها.

كما أن امتداد الفترة الجافة وخصوصا بعد توالي السنوات الجافة يجعل استقبال المجال لتساقطات مركزة زمانيا ومكانيا له تأثير سلبي على السطح، خصوصا على التربة التي تشهد عملية تعرية عنيفة تنظاف لما تعانيه الأتربة من إكراهات بنيوية. لقد عانى الإنسان المحلي من كل الاكراهات الطبيعية في استغلاله للمجال سابقا، وتزايدت معاناته في العقود الأخيرة مع الوضعية المناخية التي زادت من حدة الوضع وساهمت في حدوث مجموعة من التحولات المجالية، مما دفعه لاتخاذ مجموعة من التدابير الرامية لتحسين استغلال المجال والرفع من مردوديته. لذلك ففي حالة وفرة الموارد المائية سواء السطحية والباطنية تساهم في تطور النشاط الفلاحي وتنوعه وكذا نشاط تربية الماشية الذي يوفر مدخولا ماديا للفلاح يمكنه من جهة من الزيادة من إنتاجه، ومن جهة أخرى، من تنويعه، أما في حالة العكس فإن هذه الأنشطة تصبح غير قادرة على تلبية حاجات الفلاح مما يدخله في أزمات مادية تجعله غير قادر على الاستثمار في أنشطته وبالتالي التفكير في حلول أخرى تزيد من سوء الوضع.

هكذا نستنتج أن ممارسة النشاط الفلاحي بالجماعة الترابية اصعادلا تعتبر موروثا وتقليدا للأجيال السابقة التي تعاملت بخصوص هذا النشاط مع طبيعة المناخ التي كانت سائدة منذ فترات قديمة، لكن وبفعل تدخل العديد من العوامل متمثلة في التغير الذي عرفته الظروف المطرية التي أصبح من الصعب معها توقع وثيرة وطبيعة التساقطات وكذلك قرب مجال الدراسة من المجال الحضري لآسفي ومن أحد أكبر الأسواق على الصعيد الوطني "سوق سبت جزولة وجمعة اسحايم" الذي ساهمت في الرفع من وثيرة الطلب على المنتوجات الفلاحية وكذا الحيوانية. دفع بالفلاح المحلي في العقود الأخيرة إلى التفكير في تنويع منتوجه الفلاحي وتطويره بشكل يلبي الحاجيات المتزايدة خصوصا للمستهلك بالمجال الحضري لآسفي.

4-3- تراجع الموارد المائية ودوره في التحولات السوسيو مجالية:

عرفت الجماعة الترابية اصعادلا توالي سنوات الجفاف، حيث دل على ذلك تغير النظام المطري نحو التراجع وارتفاع مؤشر درجات الحرارة مما جعل توازن استغلال الأراضي يخضع لمعطى التغير المناخي الذي أصبح يشكل أهم عنصر في نظام الاستغلال والذي ساهم في تراجع الموارد المائية من خلال قلتها وارتفاع حدة التبخر فيما تبقى منها، وبالتالي فاستغلال الأراضي بدوره عرف تغيرات كبيرة.

لقد ساهمت الظروف المناخية في حدوث تغيرات مهمة خصوصا بالأراضي البورية، ومن أبرزها تراجع الاعتماد على الزراعات التي تتطلب تساقطات مطرية كافية ومنتظمة كزراعة الحبوب بمختلف أنواعها التي كانت تعتبر أهم نشاط زراعي سائد بالمنطقة خلال الفترات الرطبة وذلك بالاعتماد على بعض المزروعات التي تتلائم ووضعية المناخ الحالية كنبات الكبار بالمناطق الجافة وبعض المغروسات بالمناطق التي تتوفر على آبار. كما أثرت الوضعية المناخية كذلك على تربية الماشية التي كانت نشاطا مهما موازيا للنشاط الزراعي، غير أنها أصبحت قطاعا صعب التدبير بفعل الجفاف وتحولها لنمط اقتصادي عصري يفرض التوفر على أعلاف صناعية مكلفة وتزداد كلفتها في فترات الجفاف مع تراجع العلف الطبيعي الذي يعرف بدوره ارتفاعا كبيرة في أثمنته خلال فترات الجفاف.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أمام هذه الوضعية أصبحت الساكنة المحلية مترددة في حرث الأراضي واستغلالها كما كانت، وأصبح العديد منها يفكر في الهجرة. كما أن نسبة مهمة من السكان اتجهت للعمل بالمجال الحضري لمدينة آسفي عبر ممارسة مجموعة من المهن والحرف التي تضمن لهم مدخولا يكفيهم لضمان عيشهم.

4- النتائج والمناقشة:

4-1- تحول نظام زراعة الأراضي:

رغم هيمنة نظام الإنتاج البوري على النشاط الزراعي بجماعة اصعادلا، فقد ساهم المخطط الأخضر عن طريق تقديم دعم مباشر للفلاح من أجل حفر بئر وتجهيز ضيعته في تحول طبيعة استغلال الأراضي، حيث انتقلت نسبة الأراضي المروية من 3% قبل سنة 2000 إلى 27% سنة 2023، وهو ما أكدته معطيات المندوبية الإقليمية للفلاحة بآسفي.

لقد ساهم هذا التحول في تطور إنتاج الخضر بمختلف أنواعها وكذلك الأعلاف الموجهة لقطاع تربية الماشية.

4-2- تطور قطاع تربية الماشية:

عرف قطاع تربية الماشية بين سنة 2010 وسنة 2023 تطورا مهما خصوصا تربية الأغنام وتربية الأبقار، فقد تطور قطاع تربية الأغنام بحوالي 47% مما ساهم في ارتفاع رؤوس الأغنام وخصوصا الإناث وهو كان له أثر واضح على مدخول الفلاحين بالجماعة، نفس الشيء بالنسبة لرؤوس الأبقار التي تزايد بأكثر من 50% ورافقه تطور ملحوظ في انتاج الحليب الذي يوجه جزء منه لمعامل إنتاج الحليب والجزء الآخر للاستهلاك اليومي بمدينة آسفي، وقد عرف هذا القطاع في الفترة الأخيرة نقلة نوعية في الإنتاج من خلال ظهور تعاونيات إنتاج الحليب التي لم تكن موجودة سابقا.

4-3- ارتفاع مساحات الحيازات المستغلة في الفلاحة:

تتراوحت مساحة أغلب الحيازات في الفترة 2000 و2010 ما بين 1.1 و3.5 هكتار بنسبة 62% تليها الحيازات التي لا تتعدى الهكتار الواحد بنسبة 31% في حين أن الحيازات التي تتراوح مساحتها بين 4 و9 هكتار تمثل نسبة 6% تليها نسبة 1% للحيازات ذات المساحة ما بين 10 و19 هكتار. أما في السنوات الأخيرة فقد وصلت نسبة الحيازات التي تتراوح مساحتها بين 4 و9 هكتار تمثل نسبة 16,67% والحيازات ما بين 1.1 و3.5 هكتار إلى 53% تليها الحيازات التي لا تتعدى الهكتار الواحد بنسبة 24,67% والحيازات ذات المساحة ما بين 10 و19 هكتار إلى نسبة 5% ، و0,67% ل 20 هكتار وأكثر.

لقد أدى هذا التحول إلى الضغط على الموارد المائية بجماعة اصعادلا إلى تعرض الفلاح المحلي لمجموعة من الضغوطات، خصوصا مع التحول المجالي في طريقة استغلال هذه الموارد والتي أصبحت ركيزة أساسية لاستمرار نشاطه، لكن مع استمرار فترة الجفاف لمدة طويلة لم تعد هذه التحولات قادرة على الاستمرار بنفس الوضعية وهو أدى إلى ظهور مشاكل جديدة اضطرت الساكنة المحلية للبحث عن طرق بديلة للتكيف مع هذه الوضعية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خاتمة:

إن الحديث على التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي وبالتحديد بالمجالات الريفية فيما يتعلق بالنشاط الفلاحي كأهم نشاط يميز جماعة اصعادلا، يتطلب استحضار الخصوصيات المجالية لهذه الجماعة وتقييم طبيعة التحولات السوسيومجالية التي ترافق أي تغير في نظم الإنتاج بفهم اتجاهها وربطها بالعناصر التي تتحكم فيها من أجل رصد مدى قدرتها الاستمرار.

لقد عرفت جماعة اصعادلا دينامية مهمة في ظل بروز أنشطة جديدة حتمتها الدينامية التي شهدتها الفترة الأخيرة وما ساهم في ذلك قرب الجماعة من المجال الحضري لآسفي الذي يعتبر سوقا للمنتوجات الفلاحية لهذه الجماعة.

لكن رغم تطور النشاط الفلاحي ومساهمته في بروز مجموعة من التحولات السوسيومجالية سواء على مستوى طرق وأساليب الإنتاج، وكذلك وفرته وتنوعه، أو على مستوى الوضعية الاجتماعية للسكان المحليين. فإن الوضعية المناخية حالت دون استمرار ذلك وشكلت العقبة الأساسية التي كبحت مختلف التطورات التي عرفها القطاع الفلاحي بجماعة اصعادلا.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

البيبلوغرافيا:

- أرمان أنطونا. (1931). جهة عبدة. ترجمة علال ركوك ومحمد بن الشيخ. نشر جمعية البحث والتوثيق والنشر. مطبعة ربانيت. 284ص.
- المصمودي نجيب. (2014). الجماعات الترابية بالمغرب بين مقومات التسويق الترابي ورهان التنمية المحلية المندمجة، منشورات سلسلة الحكامة الترابية ودراسة السياسات، مطبعة كوغوتيب، الطبعة الأولى 327ص.
- إسماعيل خياطي. (1988): تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية نظام الإكارة في سهل دكالة المسقي. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
- المختار الأكحل.(2000): دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بنسليمان. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة.
- حسن فاتح، (2000): التكثيف الفلاحي والتحولات السوسيومجالية والبنية بولجة دكالة بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا،187ص كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- رحيمة أقضاض (2022): دور التحليل الجغرافي في توازنات الأراضي وإنجاح برامج التهيئة المجالية – حالة جماعات اصعادلا وخط أزكان واحد حرارة-، أطروحة نيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش.
- عبد الغني الجميلي، (1989): دراسة جيومرفولوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط
- عثمان تاموسيت. (2015). ساحل آسفي: إشكالية تدبير الموارد الطبيعية المحدودة (مقاربة جغرافية لمجال جماعتي حرارة والبدوزة(.بحث لنيل دبلوم الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/